الجزء العاشر
السنة الثانية

المعرفة

فبراير سنة ١٩٣٣
شوال سنة ١٣٥١

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولي

المجلد | شعارها : اعرف نفسك بنفسك | الرابع

خاتمة السنة الثانية

بهذا الجزء العاشر من السنة الثانية ، أو العدد الثاني والعشرين من حياة «المعرفة» ، تختتم السنة الثانية ، مغتبطين أشد الاغتباط بما أتيح لنا أن نساهم به في خدمة الثقافة العربية الشرقية الصحيحة : خدمة أقل ما توصف به ، أنها كانت في منأى عن الدجل والتهويش ، بعيدة عن كل قصد مادي ، منزهة عن كل مأرب تجاري .

وإذا كنا قد تحملنا كثيراً من الخسائر المادية ، فإن هذه لم تكن لتثبط من عزائمنا يوماً ما ، علماً منا بأن ذلك نصيب كل عمل يقوم لوجه الحق ، وبأننا أنشأنا « المعرفة » لخدمة الفكرة فحسب : فكرة الثقافة العربية ، وربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولا ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانياً ، وذلك بالعمل على نشر معارف الأول في الثاني ؛ واستخلاص النافع لنا من علوم الغرب ، واستصفاء ما يصلح لنا من مدنيته لتقوم به بنيان مدنيتنا .

لم نكن إذن — علم الله — ننتظر ربحاً ولا مغنماً يمت إلى المادة بسبب ؛ ولهذا صبرنا وصابرنا وثابرنا في سبيل نشر أفكارنا ، وبث المذاهب الفلسفية الصوفية الروحية العالية ، التي لا يدخلها الزيف أو يلابسها الزيغ ، حتى حق لنا النصر ، ورأينا « المعرفة » تنتشر في

جميع بقاع العالم من شرقيه إلى غربيه ، بل تقتحم أرجاء الشرق السحيقة البعد ، وتحتل من النفوس مكانة سامية ، ومن بعض الجامعات العلمية منزلة رفيعة ، ومن مؤتمرات المسلمين والمستشرقين جانباً عظيماً ، عز على غيرها الوصول إليه فى عشرات السنين .

وإذا كان القراء قد تعودوا منا أن نصدر « المعرفة » اثنتى عشرة مرة فى السنة — وهو ماقطعناه فى السنة الأولى — ، ولم يروا ذلك متبعاً فى هذا العام ؛ فرجع هذا إلى ما رأيناه من فرصة سانحة لخدمة قرائنا : بل لخدمة الشرق والعربية ، من طريق التربية والتعليم ؛ وإيقاف أبناء الشرق عامة ، والعرب خاصة ، على ما كان لأجدادهم من فضل فى نشوء مذاهب التربية والتعليم ؛ وهما أشد ما يتصل بنهضتنا الحديثة ، التى تأثرنا فيها الغرب دون الشرق . وهذه الفرصة التى سنحت لنا ، أتيحت على أثر ماوقفنا عليه لدى العالم الفذ وكبير المربين ، الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ، من جمهرة البحوث والمحاضرات القيمة ، التى تناول فيها مذاهب عدة ، ونواحى مختلفة فى التربية والتعليم والفنون الجميلة ..... الخ ، مما نراه موضحاً فى غير هذا المكان ؛ منها ما نشر ، ومنها ما لم ينشر بعد ؛ فاستأذنا « العمروسى بك » فى جمعها وطبعها وتقديمها إلى قراء « المعرفة » كهدية خاصة للسنة المقبلة ، فتفضل مشكوراً ، مؤثراً « المعرفة » على غيرها بهذا الكنز الثمين ، مختصاً إياها بنشره وطبعه .

فلما أن بدأنا العمل وجدنا أن الكتاب سيقع فى ٤٠٠ أربعمائة صفحة من حجم « المعرفة » تقريباً ، فرأينا أن نمسح له من وقتنا بعض الشىء ، لإظهاره فى ثوب يسر قراء « المعرفة » ، ثم تبين لنا بعد ذلك أن هذا العمل يستغرق شهراً ونصف شهر ، فآثرنا جعله ملحقاً « للمعرفة » يعوض قراءها عن جزأى مارس وإبريل من سنة ١٩٣٣ ، وهما ختام السنة الثانية فى النظام القديم .

وإذا كنا سنضحى من وقتنا قرابة شهرين ، فضلا عما سنتكلفه من نفقات كثيرة فى سبيل طبع الكتاب وإخراجه فى صورة فنية ، وهى نفقات تكفى — على أقل تقدير — لضعف نفقات عددين من « المعرفة » ، فنحن نتقبل هذه التضحية الجديدة بصدر رحب ، مضيفين إلى سابق ما ضحينا به فى سبيل المبدأ الذى أخذنا أنفسنا به . ولنستطيع — فى الوقت ذاته — أن نقتنص بعض الوقت للقيام بتحقيق ما اعتزمناه من تحسينات جديدة ، سندخلها على « المعرفة » فى سنتها الثالثة إن شاء الله ؛ وأهمها القيام بأبحاث مبتكرة ، ورحلات قصيرة ، واستجماع قوى مدخرة لاستحداث عناصر جديدة فى العمل ، سواء أكان منها ما يتصل بآلات الطباعة ومعدات الادارة ، أم بإخراج بعض المؤلفات ، وأفانين التحرير والتجديد والتنويع والتلوين ، إن فى العلوم والآداب ، وإن فى الفلسفة والفنون من مستحدثات العصر الحديث ؛ ومما لاشك فى أن نصيب القراء منه سيكون أكثر مما كان فى الماضى بإذن الله .

ونحن ننتهز هذه الفرصة لنسجل على أنفسنا عاطر الثناء وجزيل الشكر لحضرة صاحب العزة أستاذنا الأكبر « العمروسى بك » على هذه الهدية الثمينة .

[illegible]

ولعل من الخير أن نصارح حضرات قرائنا بشيء مما صادفنا من العقبات ، التي كادت تذهب بحياة « المعرفة » ، لولا يقين وإيمان بالله جازمان ، ووثوق واطمئنان إلى ما تدعو إليه . نذكر شيئاً من هذا تاركين ذكر عقبات أخرى وضعها في طريق « المعرفة » نفر من الناس لقتلها وهي جنين لم يولد ، وعرقلتها وهي طفلة لم تحب ، لكن الله أبى إلا خذلانهم وإزهاق باطلهم ونصرة الحق الذي تدعو « المعرفة » إليه ، وتأخذ نفسها بسبيل الدفاع عنه .

وهذا الذي سنصارح القراء الكرام ببعض منه ، قد لا يقل عما تقدمه أهمية ، وقد لا يعرفه أكثر الناس ، بينما هو يؤثر في عمل الصحفي المصري النزيه أشد تأثير .

وآية ذلك أن « الصحافة المصرية » تعاني أكثر مما تعانيه صحف العالم أجمع ، من أعباء جسام ، ومن أثقال وأوصاب ، ومن متاعب وآلام ، أقل ما توصف به ، أنها تقيد « الصحفي النزيه » بقيود ثقيلة ، وتهد من عزيمته هداً ، بل فيها ما يقوض صرح الآمال ، ويدعو « الصحفي المصري العف النزيه » إلى الفرار من ميدان القلم الملوث ، ونشدان الهرب من حلبة الملق والرياء والنفاق ، التي يكون نصيبه منها دائماً نصيب الجواد الخاسر ، والتي كثيراً ما خلقت له الاعسار والقلق والحيرة والضيق .

***

إن الصحفي النزيه القلم ، العف اللسان ، الحي الضمير ، الطاهر اليد والذمة ، لتتحسر نفسه وتتفتت كبده ، من رؤية بعض هذه الجموع المتاجرة تتراكم حوله ، متألبة عليه ، جاحدة ناكرة ، مذبذبة منافقة ، متسولة مستجدية ، تغرر بالشعب ، وتهزأ بعقول أبنائه ، وتلعب بقلوب رجاله أجمعين .

وإن ... ن هذا الذي يعانيه « الصحفي النزيه » يصور لك حقيقة مهنته تصويراً دقيقاً تعلم منه حاول ال... ادح التي تجثم على كتفيه ، فلا والله إنني لا أريد من وراء هذا التصوير المؤلم أن أغضب أحداً ... ل العبء كاهل إنسان ، وإنما أريد أن أقص عليك أيها القارئ الكريم فصول رواية هي المأ... العنيفة ، بل هي « الدراما » التي تجدد كل يوم على المسرح ، حتى تضع يدك على موضع النار التي تأكل طائفة من مواطنيك الذين احترفوا صناعة القلم .

في الصحافة المصرية الشريفة النزيهة — التي لا يستجدي أصحابها الاشتراكات ، ولا يتملقون أميراً ولا وزيراً ، ولا ... دون كبيراً أو صغيراً — جنوح إلى توجيه الأذهان المصرية توجيهاً علمياً

قومياً شريفاً يشغلها عن كل ختل دخيل ، أو رياء مستتر ، وفيها نزوع إلى تنوير العقول تنويراً يسمو بها على الدجل والحدس والتخمين .

والصحفي النزيه حين يتوجه إلى أبناء أمته بما تضمره نفسه من أحاسيس ، وما يحتشد في ذهنه من خواطر ، وما يفيض به وجدانه من أسباب الاصلاح ، إنما يشعر من سويدائه أنه يخاطب جمهوراً يفهمه ، وأمة تحمل من متباين الآمال والآلام مثل ما يحمل ؛ فهو إذن يرسل صوته إلى أعماق القلوب ، لأنه صوت صادر عن قلبه ، لا تعمل ولا تكلف فيه .

والصحيفة المصرية الشريفة أيضاً ، حين تشق طريقها إلى الوجود ، إنما ترى لزاماً عليها أن تكون لساناً صادق التعبير عن خوالج الشعب ، صادق الأداء لما يريده ويدعو إليه ، ويجب أن يكون عليه ؛ فهي إذن لا تهتف بالربح كهتافها بالاصلاح ، وهي إذن لا تدعو إلى خديعة ، ولا تجري وراء مغنم ، وإنما تدعو إلى الخير والاصلاح ، في وضح النهار ، وفي ظل ما تدأب على إذاعته من مبدأ غير متلبدة ، ولا متذبذبة ، ولا حائرة ، ولا متأرجحة بين كفتي الميزان .

هـذا هو الصحفي المصري الشريف النزيه ، وتلك هي الصحيفة المصرية الشريفة النزيهة . فهل بلغ كلاهما حياة الهدوء ، وهل أصاب من حياته ما يتمنى ؟

إن الصحفي النزيه يعيش في جو من الفاقة ، كما يعيش في جو من الأحلام والآلام : لأنه لا يعرف هذا القلم القذر — قلم التسول والاستجداء أو المدح والهجاء — حتى يستطيع احتماله ، وحتى يخرج به آراء تجارية لا تجدي ولا تفيد ، وإنما تهدم الأخلاق وتبيد .

وإن الصحيفة المصرية الشريفة لتعيش في جو من الفاقة ، وفي جو آخر من الضيق ؛ لأنها لا تستطيع أن تكون مسرحاً يقف على خشبته كل سفاف ، ويلابس التمثيل عليه كل مهرج .

فهل خلق الصحفي المصري النزيه ليكون تاعساً ؟ وهل خلقت الصحيفة المصرية الشريفة لتكون من سقط المتاع . . . ؟

***

الواقع أن الصحفي المصري يملك لنفسه خصائص قلما يستطيعها صحفي في الوجود ؛ فهو في أكثر أمره ، أديب يجيد دراسة الأدب ، ويحذق صناعة الكتابة ، وهو ، إلى أدبه هذا ، ذكي يدرك همسة النسيم ، وومضة الطيف ، ويستخرج منهما — لو أراد — عاصفة قوية ، وضوءاً باهر الاشعاع ، وهو ، مع ذلك ، محدث يستطيع أن يحمل الأبكم على مزاولة الكلام ؛ وهو بعد ذلك أمين على إذاعة أمته في الوضع الذي لا يظهرها أمام الشعوب ، وكأنها جماعات من آكلي الأحذية والزجاج والثعابين . . . . ! !

فما هو سر إخفاقه ؟ وما هو سر بؤسه ؟

أكبر اليقين عندي أن إخفاقه يعود إلى عقيدته النزيهة التي أوحت إليه أن يكون مصرياً صميماً

فى مصريته ، وأن يكون داعية من دعاة الاصلاح ، وأن يكون رجلا روحانياً لايعنى بمتاع الدنيا قدر مايعنى بتوفير السعادة لأمته ، وتأدية رسالته فى صدق وإخلاص .

وهذه العقيدة ، أو قل هذه العقائد المجتمعة ، قلما يعنى باعتناقها أولئك الذين اندسوا فى الصحافة — سواء أكانوا مصريين أم غير مصريين — ليؤلفوا من بينهم عصبة من حملة الأقلام ، توحى إلى الشعب المصرى أبشع ماتوحى به النفس الشريرة من سوآت .

وهذه العصبة المغرضة ماذا جنت منها مصر ؟ اللهم إنها لم تجن منها غير الشر والوبال ، فنمت شر هائل منيت به عقول المصريين من هذا الطعام الفاسد ، الذى يقدمه إليهم طهاة لايعنيهم أكانت عاقبة الطعام تمزيقاً لهذه الهيا كل : أم كانت عاقبته سحقاً لما فيها من خلجات الحياة ، ونمت وبال هائل تحقق للمصريين من أولئك الأدعياء الذين يسايرون الريح حيثما تتجه أو تسير . ولكن : هل آمن المصريون بأن هذا الشر سيقضى عليهم ، وأن هذا الوبال سيدفع بهم إلى مواطن الهلاك ؟

يبدو لى أن سواد الشعب قد آمن بهذه الحقيقة المرة ، فأعرض بعض الاعراض عن كل صحيفة من هذا النوع ، ولكن خاصة الشعب ، وإن آمنت مع السواد بهذه الحقيقة ، إلا أنها لم تعمل حتى اليوم فى ذمة تهذيبها عملا حاسما .

وآية ذلك أنك ترى صحفاً تعطل بين الحين والحين ، وهى لا تعطل بأمر تصدره الحكومة — كما كان متبعاً من قبل — فحسب ، وإنما تعطل بأيدى أشباه العظماء ، وأشباه العلماء ، وأدعياء الأدب والتعليم ، لأن الصحيفة المصرية النزيهة تأبى بنفسها عن أن تكون مسرحاً للتهريج لهؤلاء ، فهم لهذا يحاربونها ولا يتورعون عن اختلاسها ، وأكل حقوقها ، والاحتيال عليها بقراءتها دون ثمن ، والظاهر أنهم يأبون إلا الحصول عليها لقمة سائغة . . ! !

وإذا كان تعطيل الصحيفة يهيء لصاحبها ومن يعمل فيها — وهم عشرات من أصحاب الأسر الكبيرة — سبيلا إلى الفاقة والعوز والضيق ، فان هناك صحفاً أخرى ليست معطلة ، ولكنها تعب فى خضم من الفاقة ، لأنها تبعث بأعدادها تباعاً إلى من اشترك فيها من أشباه العظماء ، حتى إذا ما مضى الحول ، وأرسلت وراءهم رسلها ليحملوا منهم قيمة الاشتراك ، كان من شأنهم أن يعبسوا فى وجوه الرسل ، وأن ينكروا حتى طلبات اشتراكاتهم المعضاة من حضراتهم ! بل ينكروا وصول الأعداد إليهم ، ولو شهدت دور البريد بعكس ما يقولون ، بل ينكروا إنكاراً صريحاً على هذه الصحيفة تناول حقها ، وإن يكن هذا الحق فى مجموعه لا ينهض بأتفه الكماليات التى يستطيبها أقلهم شأنا فى يوم واحد . . . ! !

أليس هذا تعطيلا آخر لرسالة الصحف المصرية النزيهة ، وعملا شنيعاً لاحياء الصحف المستهترة . . . ؟

إن الصحفى المصرى النزيه لا يستطيب لنفسه أن يساير الصحف الأخرى فى عملها حيال من ينكر عليها حقها ، أو يدعو إلى ابتلاعها ، فلا يرضى أن يذيع أسماء أولئك الذين يأكلون

الحق بالباطل ، وهو لا يتعقبهم بقلمه ليهتك هذه العثرات الدنيئة . . . ولكنه في ظل هذه العواطف النبيلة لا يرى إلا الاعسار .

وثمة ناحية أخرى تلقى على هذا الظلام قبساً من النار التي يحترق الصحفي النزيه بجذواتها المتقدة ، . . ذلك أن الحكومة تعضد صحفاً معينة ، منها الطيب ومنها الخبيث ، باشتراكات سخية تزجى إليها كل عام ، أو باعلانات قضائية كل دورة . وهذه الاشتراكات أو هاتيك الاعلانات كفيلة وحدها بتغذية الصحيفة تغذية مادية طوال الحول كله . . .

أما الصحيفة النزيهة التي لا تتلون بأي لون حكومي ، فمن حقها أن تصيب النكوص حين تتجه إلى الحكومة ، بما لها من حق ، لتسألها أن تمدها بأشباه هذه الاشتراكات . ولعمري إن « الصحفي المصري النزيه » الذي يناشد حكومته العون ، إنما يريد أن يبلغ بهذا العون شأو الكمال في عمله ، أما الصحفي المتسول فانه حين يحتمل من حكومتنا هذا العون السخي ، إنما يدخره ليكون آخر الأمر من رجال المال : أو يصبح من ذوي اليسار والمرتب الذي يكفل له العيش في رفاهة وهناء ، ولتذهب الثقافة بألوانها مع الريح .!

والآن ، فلندع ذلك كله ، فليس من طبيعتنا ـ علم الله ـ النظر إلى مثل هاتيك التوافه ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا في هذه الكلمة المرة الثائرة ، التي أملاها على القلم تأثر للحق أن يلحقه باطل ، وحرص على كرامة العلم أن يصيبها هوان ، ليتعظ من يتعظ ، ويعتبر من يعتبر .

وبعد ، فانا نعتذر إلى حضرات القراء الكرام ، عما أشغلناهم به من شأن قد يرونه شأننا نحن ، وهو في الحق شأننا وشأنهم ، إذ ليست « المعرفة » ملكا لشخص معين .

***

ونختم كلمتنا هذه بتقديم شكرنا الجزيل إلى حضرات الذين أخلصوا « للمعرفة » ، ولقينا منهم كل عون ، سواء أكانوا من المشتركين الذين أدوا إليها حقوقها ، أم من الأساتذة : الكتاب والأدباء والشعراء وقادة الرأي والفكر ، الذين ساهموا معنا بأوفر نصيب ، وقامت « المعرفة » على بحوثهم القيمة ورسالاتهم الرائعة .

وأخيراً فانا في سبيل الفكرة والمبدأ أنشأنا « المعرفة » ، وفي سبيل الفكرة والمبدأ ضحينا ماضحينا ، وفي سبيل الفكرة والمبدأ نضحي وسنضحي حتى آخر رمق من حياتنا ، مادمنا نعمل لما ندعو إليه من حق ويقين . وسنظل في المستقبل ، كما نحن الآن ، ندأب في حزم وعزم ، وفي قوة وفتوة ، وفي همة وشباب ، لا نعرف الكلال ولا الملل ، حتى يتحقق مثلنا الأعلى ، أو نقدم آخر رمق من حياتنا وأرواحنا قربانا على مذبح الحق المقدس ، فاما إلى الصدر وإما إلى القبر .

وسيظل شعارنا دائماً : « اعرف نفسك بنفسك »

فاما حياة تبعث الميت في البلى ... وتثبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ... ممات لعمري لم يقس بممات

وإلى اللقاء القريب إن شاء الله ...